العددِ 20 شباط 2026
No.20 Feb.2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

جبهة البوليساريو في وثائق الولايات المتحدة الأمريكية

(دراسة تأريخية)

أ. د. عبد الجليل مزعل بنيان
الأيميل : abdaljaleaL29@gmail.com
الموبايل : 07706852047

الملخص :

كان لجبهة البوليساريو أثرها الواضح في التطورات السياسية في الشمال الأفريقي، إذ ارتبط ظهورها بسياق إقليمي ودولي ومعقد تميز بتصاعد حركات المقاومة ضد الاستعمار الأوروبي، فضلاً عن الرغبة بتقرير المصير، إذ تأسست هذه الجبهة في عام 1973 في إقليم الصحراء الغربية. أن الطابع التحرري لجبهة البولساريو لا يقتصر على البعد العسكري، بل تعداه الى أعمق من ذلك هو تأكيد الهوية الصحراوية.

The Polisario Front in US Documents

(A Historical Study)

Prof. Dr. Abdul Jalil Muzail Nabyan

Apstrac

The Polisario Front has had a clear impact on political developments in North Africa. Its emergence is linked to a regional and global context, and is characterized by the growing resistance movements against European colonialism, as well as the desire for self-determination. Founded in 1973 in the Western Sahara region, the Polisario Front's liberationist nature is not limited to the military dimension; it extends beyond that to a deeper level, emphasizing the Sahrawi identity.

المقدمة :

تُعد جبهة البوليساريو واحدة من أبرز الحركات التحررية التي نشأت في شمال إفريقيا خلال النصف الثاني من القرن العشرين، وقد ارتبط ظهورها بسياق إقليمي ودولي معقد تميز بتصاعد حركات المقاومة ضد الاستعمار، وبروز مطالب تقرير المصير لدى الشعوب التي كانت تخضع للهيمنة الأجنبية.

فقد تأسست هذه الجبهة في عام ١٩٧٣، في ظل استمرار الوجود الاستعماري الإسباني في إقليم الصحراء الغربية، وتزايد وعي السكان المحليين بضرورة استرجاع حقوقهم السياسية والاقتصادية والثقافية، وهو ما جعل من الجبهة التعبير السياسي والعسكري الأبرز عن تطلعات الصحراويين إلى الاستقلال.

نشأت جبهة البوليساريو في ظروف سياسية صعبة، إذ كانت تعاني المنطقة من تداخلات إقليمية وصراعات حول النفوذ، لكن الحركة استطاعت في مدة زمنية قصيرة أن تتحول من تنظيم ناشئ إلى فاعل أساسي في معادلة الصراع على الصحراء الغربية. فقد تبنت منذ انطلاقها خيار الكفاح المسلح كوسيلة لمقاومة الاستعمار الإسباني، ثم انتقلت إلى مواجهة مباشرة مع المملكة المغربية التي بسطت سيطرتها على الإقليم بعد انسحاب إسبانيا عام ١٩٧٥. وقد واكب هذا التحول تطوراً ملحوظ في البنية التنظيمية والسياسية للجبهة، التي شرعت في بناء مؤسسات تعكس تصورها للدولة الصحراوية المستقبلية لا سيما من خلال تأسيس الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية عام ١٩٧٦.

إن الطابع التحرري لجبهة البوليساريو لا يقتصر على البعد العسكري، بل يتعداه إلى أبعاد أعمق تتعلق بتأكيد الهوية الصحراوية وصون الخصوصية الثقافية والاجتماعية للسكان، إذ أدت الجبهة دوراً محورياً في صياغة خطاب وطني يستند إلى مبادئ تقرير المصير، والاستقلال ومناهضة كافة أشكال الهيمنة كما انفتحت على العمل الدبلوماسي وحشد الدعم الإقليمي والدولي لقضيتها، مستفيدة من قرارات الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي، التي تعترف بحق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره.

لقد أدت التحولات الجيوسياسية الإقليمية والدولية إلى جعل قضية الصحراء الغربية من أكثر القضايا تعقيداً على مستوى القانون الدولي والشرعية السياسية، إذ تتقاطع فيها مصالح قوى إقليمية ودولية، وتبرز فيها إشكالات تتعلق بالحدود والهوية والسيادة. ومن هذا المنطلق، فإن دراسة تطور جبهة البوليساريو منذ نشأتها وحتى اليوم، يُعد مدخلا لفهم ديناميكية الصراع في المنطقة، وتحليل مسارات التحول التي عرفتها الحركة سواء على الصعيد الداخلي أو في تعاطيها مع المتغيرات الخارجية.

تعد جبهة البوليساريو (الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب) نموذجاً بارزاً للحركات التحررية في شمال إفريقيا، فقد جاءت نشأتها في سياق إقليمي حافل بالتحولات السياسية التي تلت مرحلة الاستعمار المباشر. فقد شهدت منطقة المغرب العربي، خصوصاً في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين، تصاعداً كبيراً في الوعي القومي والسياسي، وظهور عدد من الحركات التي طالبت بالاستقلال وحق تقرير المصير، كما هو الحال في الجزائر التي خاضت حرب تحرير طويلة ضد فرنسا (١٩٥٤ - ١٩٦٢)، وموريتانيا التي نالت استقلالها عام 1960 بعد عقود من السيطرة الفرنسية.

في هذا المناخ، ظهرت جبهة البوليساريو عام ١٩٧٣ كرد فعل مباشر على استمرار الاحتلال الإسباني للصحراء الغربية، حيث كانت إسبانيا، رغم الضغوط الدولية، تحتفظ بالإقليم كمنطقة استراتيجية غنية بالثروات وخصوصا الفوسفات ومواقع الصيد البحري. وقد مثل تأسيس الجبهة خطوة نوعية في سياق

النضال الوطني الصحراوي، لأنها لم تكن مجرد حركة احتجاج، بل طرحت نفسها منذ البداية كتنظيم سياسي وعسكري يسعى إلى إنهاء الاستعمار وبناء دولة مستقلة.

أولاً : جذور النزاع في الصحراء الغربية

ترجع جذور النزاع في الصحراء الغربية إلى نهاية القرن التاسع عشر، حين عمدت إسبانيا إلى ضم مناطق الساقية الحمراء ووادي الذهب ضمن استراتيجيتها الاستعمارية في شمال غرب إفريقيا، وذلك في سياق تنافس استعماري مع فرنسا وبريطانيا (غلاب، 1981، صفحة 19). وقد أبرمت إسبانيا عدة اتفاقيات مع القوى الاستعمارية الأوروبية (كمعاهدة برلين ١٨٨٤)، منحتها سيطرة اسمية على هذه الأراضي، دون أن يكون للصحراويين أي تمثيل في هذه القرارات.

ومع بداية القرن العشرين بدأت السلطات الاستعمارية في إنشاء مراكز إدارية ومواقع عسكرية في الإقليم، إلا أن التغلغل الفعلي ظل ضعيفاً إلى حدود الخمسينيات، إذ بدأت إسبانيا في استغلال الثروات الطبيعية، وعلى رأسها الفوسفات في منطقة بوكراع، والموارد البحرية الغنية على السواحل الأطلسية (فرانسيسكو، 1989، صفحة 45).

خلال هذه المدة، عانى السكان الأصليون من تهميش اجتماعي واقتصادي واضح، إذ لم يُسمح لهم بالمشاركة السياسية، وتم عزلهم في مناطق هامشية، كما مُورست عليهم سياسة "فرق تسد" من خلال تعزيز الانقسامات القبلية. وبهذا، تبلور وعي سياسي جديد لدى النخب الصحراوية، ممهداً الطريق لظهور أولى الحركات السياسية التحررية.

أولى المحاولات التنظيمية كانت في عام ١٩٧٠ من خلال تأسيس حركة تحرير الصحراء بقيادة الشيخ محمد سيد إبراهيم بصيري، الذي يُعد من أوائل المناضلين الصحراويين الذين حاولوا مواجهة الاستعمار الإسباني سلميا . نظمت هذه الحركة مظاهرة عارمة في حي "الزملة" بمدينة العيون، قوبلت بالقمع الوحشي من قبل الحرس الإسباني، وأدت إلى اختفاء بصيري، وهو ما مثل صدمة كبرى للمجتمع الصحراوي. أعادت تلك الحادثة صياغة الوعي الجمعي الصحراوي، وأثبتت أن المقاومة السلمية لا يمكن أن تُجدي في مواجهة استعمار مسلّح ومدعوم من قوى غربية. وهكذا بدأت تظهر ملامح جديدة لحراك شبابي سياسي أكثر تنظيمًا، وأكثر استعداداً لخوض الكفاح المسلح (محمد الامين، 2004، صفحة 27).

تزامن هذا التحول مع متغيرات عميقة على المستويين الإقليمي والدولي:

- إقليمياً : كانت الجزائر قد أنهت لتوها حرب الاستقلال عن فرنسا، وأعلنت انحيازها التام لحركات التحرر، كما دعمت جبهة التحرير الموريتانية، ثم جبهة البوليساريو لاحقًا. أما المغرب، فكان يعتبر أن الصحراء جزء لا يتجزأ من ترابه الوطني"، في ظل ما يُعرف بـ "المغرب الكبير" التاريخي.

- دولياً : بدأت الأمم المتحدة في الستينيات بالتعامل مع قضايا إنهاء الاستعمار بشكل مباشر، فصدر القرار الأممي رقم ١٥١٤ لسنة ١٩٦٠، والذي يدعو إلى تمكين الشعوب غير المتمتعة بالحكم الذاتي من تقرير مصيرها (الامم المتحدة، 14 ديسمبر 1960).

كل هذا خلق بيئة سياسية وفكرية داعمة لظهور حركات جديدة في الصحراء، تحمل السلاح وتطالب بالاستقلال الوطني.

بتاريخ ١٠ ايار ١٩٧٣، اجتمع عدد من الشباب الصحراوي في منطقة زويرات (شمال موريتانيا)، وأعلنوا تأسيس "الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب". وقد ضمت المجموعة التأسيسية أسماء بارزة مثل: (مصطفى السيد أول أمين عام للجبهة، واستُشهد لاحقاً في هجوم على نواكشوط سنة ١٩٧٦) (الوالي مصطفى السيد البشير مصطفى السيد/ الشيخ بيد الله) وغيرهم من الكوادر المثقفة والمتأثرة بحركات التحرر العربية والعالمية (عتيقة بلقاسم، 2017، صفحة 68).

- الأهداف الأساسية لجهة البوليساريو :

أ. تحرير كامل التراب الصحراوي من الاستعمار الإسباني.

ب. تأسيس دولة مستقلة ذات سيادة.

ج. إقامة مؤسسات وطنية تمثل إرادة الشعب الصحراوي.

د. مواجهة التغلغل المغربي والموريتاني في الإقليم.

أصدرت الجبهة بيانها التأسيسي الذي دعت فيه أبناء الشعب الصحراوي إلى الانخراط في " الكفاح المسلح بوصفه الطريق الوحيد للتحرر "، وتم تنفيذ أول عملية عسكرية في ٢٠ مايو ١٩٧٣ ضد وحدة عسكرية إسبانية في منطقة الخنكة، ليُصبح هذا التاريخ لاحقا رمزاً لانطلاق الكفاح الوطني تميزت الجبهة منذ تأسيسها بهيكل تنظيمي مركزي، يضم:

- الأمانة العامة : السلطة العليا في الجبهة، وتشرف على السياسة العامة.
- المكتب السياسي : يتكون من أعضاء قياديين مكلفين بإدارة الملفات الكبرى.
- قوات التحرير الشعبية الصحراوية : الجناح العسكري الذي خضع لتدريب جزائري وكوبي في مراحل لاحقة.
- الاتحاد الوطني للنساء والشبيبة، والطلبة كيانات موازية تشرف على التعبئة.

كما سعت الجبهة إلى تكوين قاعدة جماهيرية في صفوف القبائل الصحراوية، وإنشاء خلايا سياسية وتنظيمية داخل المخيمات، وهو ما مكنها لاحقاً من الإعلان عن الجمهورية الصحراوية سنة ١٩٧٦. (ليلى البديع، مصدر سابق، صفحة 30).

ثانياً : الأهداف والسياسات لجبهة البوليساريو

منذ اللحظة الأولى لتأسيس جبهة البوليساريو، عبّرت الحركة عن كونها ليست فقط ردّ فعل على الاستعمار الإسباني، بل مشروع تحرر وطني متكامل. وقد سعت الجبهة إلى التمايز عن الحركات القبلية التقليدية، بإنتاج خطاب قومي صحراوي يتجاوز الهويات المحلية، ويؤسس لهوية جامعة موحدة للشعب الصحراوي هذه الأهداف لم تكن مجرد شعارات، بل تم تجسيدها عبر سياسات تنظيمية عسكرية، ودبلوماسية، ما يجعل من البوليساريو حالة معقدة تستحق الدراسة كحركة تحررية وكنواة لدولة في طور التشكل (أدومة، 2020، الصفحات 507-510).

1- الأهداف السياسية :

تُشكّل الأهداف السياسية والاستراتيجية محوراً جوهرياً في فهم طبيعة جبهة البوليساريو، ليس فقط كحركة مقاومة، بل كمشروع تحرر وطني يحمل رؤية سياسية متكاملة. ويمكن تصنيف هذه الأهداف في ثلاث مستويات رئيسية التحرير الكامل التمثيل الدولي، وبناء الشرعية الداخلية.

أ- الاستقلال والتحرر الكامل :

منذ بيانها التأسيسي في ١٠ ايار ١٩٧٣، أعلنت جبهة البوليساريو أن هدفها غير القابل للتفاوض هو التحرير الكامل للتراب الصحراوي من كل أشكال الوجود الأجنبي. هذا الإعلان لم يكن مجرد شعار سياسي، بل حدد الإطار النضالي للجبهة لعقود، تالية حيث خاضت حرباً طويلة ضد الاستعمار الإسباني، ثم ضد الوجود المغربي في الإقليم بعد ١٩٧٥.

وقد رفضت الجبهة بشدة كل المبادرات التي لا تؤدي إلى الاستقلال الكامل، بما في ذلك مقترح " الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية "، الذي طرح رسمياً من قبل المغرب سنة ٢٠٠٧. واعتبرت أن مثل هذه الحلول تتناقض مع مبدأ تقرير المصير، وهو مبدأ منصوص عليه في ميثاق الأمم المتحدة والقرارات الدولية ذات الصلة، مثل قرار الجمعية العامة رقم ١٥١٤، الذي ينص على حق الشعوب في الاستقلال (الأمم المتحدة، ١٩٩١ (المصدر نفسه، الصفحات 512-514).

بالتالي، تُعدّ هذه الرؤية مبدئية وغير قابلة للتنازل في أدبيات الجبهة، حيث ترى أن أي حل لا يفضي إلى استفتاء حر ونزيه يختاره الشعب الصحراوي، يُعد التفافاً على الشرعية الدولية.

ب- تمثيل الشعب الصحراوي في المحافل الدولية :

إحدى النجاحات الكبرى التي حققتها البوليساريو على المستوى الدولي هي فرض نفسها كممثل شرعي ووحيد للشعب الصحراوي وقد تم هذا الاعتراف تدريجياً عبر مسارات دبلوماسية متعددة:

- في عهامة ١٩٨٢، اعترفت منظمة الوحدة الإفريقية رسمياً بالجبهة كممثل للشعب الصحراوي.

- عام ١٩٩١، تم إدراج البوليساريو كطرف رسمي في المفاوضات الأممية، ما يُعدّ اعترافاً ضمنياً من الأمم المتحدة بدورها التمثيلي، كما تمكنت الجمهورية الصحراوية التي أعلنتها الجبهة سنة ١٩٧٦ من الحصول على عضوية كاملة في منظمة الوحدة الإفريقية، ثم احتفظت بمكانها داخل الاتحاد الإفريقي وقد مثل هذا الاعتراف المؤسسي نقطة تحول استراتيجية في نضال الجبهة، حيث أكسبها شرعية إقليمية، وأجبر المغرب على الانسحاب من المنظمة سنة ١٩٨٤، قبل أن يعود إليها في ٢٠١٧ بعد تغيّر المعطيات السياسية والدبلوماسية.

هذا التمثيل الدولي أتاح للجبهة فرصة طرح الرواية الصحراوية في المحافل الدولية، وتثبيت وجودها كطرف معترف، به لا يمكن تجاوزه في أي تسوية مستقبلية (الامم المتحدة، تقرير الأمين العام جول الوضع في الصحراء الغربية، مجلس الامن، 1991).

ج- بناء شرعية سياسية داخلية

إدراكاً منها أن الشرعية لا تُبنى فقط بالخارج، سعت الجبهة إلى ترسيخ شرعيتها داخلياً بين أبناء الشعب الصحراوي، وخصوصاً في مخيمات اللاجئين في تندوف، التي تُعتبر المركز الفعلي لنشاط البوليساريو.

ولهذا الغرض، قامت الجبهة بإنشاء هياكل سياسية ومؤسسات مدنية تحاكي نموذج الدولة، ومن أبرزها:

- المجلس الوطني الصحراوي : وهو هيئة تشريعية منتخبة، تُناقش السياسات العامة، وتحاسب الحكومة.
- الجهاز القضائي : ويضم محاكم محلية تُعالج النزاعات بين الأفراد داخل المخيمات.
- المجالس الشعبية المحلية : وهي تمثل كل وحدة سكانية أو حي، وتُشارك في تنظيم الحياة اليومية.

هذا البناء الداخلي منح الجبهة شرعية تمثيلية قوية، خصوصاً في ظل غياب منافس حقيقي له نفس الامتداد الشعبي والتنظيمي. بل إن قدرة الجبهة على إدارة شؤون عشرات الآلاف من اللاجئين، وتوفير التعليم والصحة والتنظيم الاجتماعي، يجعلها أقرب إلى كيان سياسي متماسك، وليس مجرد حركة مقاومة مسلحة (محمد عبدالله، 2012، صفحة 25).

3- السياسات العملية :

تُشكّل الجانب العملي من سلوك جبهة البوليساريو، فهي تعكس كيف تتعامل الجبهة مع التحولات الميدانية والسياسية والدولية. وعلى خلاف الأهداف الاستراتيجية التي تركز على المبادئ الكبرى، فإن السياسات العملية تعبّر عن مرونة الحركة وقدرتها على التكيف، دون التفريط في مشروعها الأساسي.

وتشمل ثلاثة محاور رئيسية: التحول من السلاح إلى السياسة، إدارة الحكم في المنفى، والتكيف مع المتغيرات الدولية.

أ- التحول من السلاح إلى السياسة :

شكل وقف إطلاق النار في ايلول ١٩٩١ برعاية الأمم المتحدة لحظة مفصلية في مسار الجبهة، حيث انتقلت من الحرب المفتوحة مع المغرب إلى مرحلة العمل السياسي والدبلوماسي المكثف ورغم التزامها بالمسار السلمي حافظت الجبهة على خطاب مزدوج يتمثل في "التهدئة المشروطة " - أي الالتزام بالحل السلمي ما دام هناك أمل في تسوية عادلة - و" الرفض القاطع السياسة فرض الأمر الواقع "، في إشارة إلى تمدد المغرب في الإقليم واستثماراته في البنية التحتية والموارد.

هذا الموقف يُظهر تكتيك التوازن بين المقاومة والدبلوماسية؛ أي الحفاظ على الجاهزية العسكرية دون اللجوء الفعلي للحرب مع استثمار الوقت والجهد في العمل السياسي من خلال الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي، والتواصل مع المجتمع الدولي. ومع ذلك، فإن استئناف المواجهات المسلحة سنة ٢٠٢٠ بعد أحداث معبر الكركرات، أعاد الجبهة إلى منطق الحرب، ما يدل على أن التحول كان تكتيكيًا، لا استراتيجياً نهائياً (محمد عبدالله، 2012، صفحة 27).

ب- إدارة الحكم في المنفى :

تُعتبر تجربة البوليساريو في إدارة مخيمات اللاجئين بتندوف واحدة من أكثر النماذج التنظيمية تفرداً في القارة الإفريقية. فمنذ أكثر من أربعة عقود، قامت الجبهة ببناء نموذج شبيه بنظام دولة مصغرة، رغم غياب السيطرة على الإقليم الأصلي. وتتوفر في هذه المخيمات:

- مؤسسات تعليمية مدارس معاهد.
- خدمات صحية مستشفيات وعيادات بدائية.
- نظام تموين غذائي معتمد بشكل كبير على الدعم الإنساني الدولي.
- هياكل انتخابية تمكّن السكان من اختيار ممثليهم في المجالس المحلية، وفي المجلس الوطني الصحراوي. (المصدر نفسه، صفحة 28).

هذا التنظيم منح الجبهة شرعية عملية كسلطة تدير شؤون شعب في حالة لجوء، وقد نال اهتماماً من باحثين ومؤسسات دولية وصفته بأنه " نموذج فريد لدولة في المنفى " أو " دولة لاجئة "، وهو مفهوم نادر في الأدبيات السياسية الإفريقية. ويُعتبر هذا النموذج أحد نقاط القوة السياسية للجبهة، لأنه يمنحها حضوراً مؤسسياً في غياب الإقليم الجغرافي (الامم المتحدة، صفحة 19)..

تعاملت البوليساريو مع تحولات النظام العالمي بذكاء سياسي ملحوظ، فعمدت إلى تحديث أدواتها الاتصالية والإعلامية أنشات مواقع إلكترونية، واستخدمت شبكات التواصل الاجتماعي، وفتحت قنوات للتواصل مع الشتات الصحراوي في أوروبا، خصوصا في إسبانيا، التي تُعد الجالية الصحراوية فيها نشطة سياسياً وإعلامياً. كما أولت الجبهة أهمية خاصة لملف حقوق الإنسان، واعتبرته مدخلا مؤثراً لاستقطاب الرأي العام الدولي، خاصة بعد موجة القمع التي تعرّض لها النشطاء الصحراويون في المدن الكبرى مثل العيون السمارة، والداخلة . أصبحت تقارير المنظمات الحقوقية الدولية (مثل هيومن رايتس ووتش، والعفو الدولية) أدوات ضغط سياسية تروج من خلالها الجبهة لقضيتها، خارج نطاق السلاح أو السياسة الرسمية. (ليلى البديع، مصدر سابق، صفحة 19).

هذا التكيف يدل على وعي الجبهة بضرورة تنويع أدوات الصراع، والخروج من الحيز الكلاسيكي للمقاومة المسلحة إلى أشكال ناعمة من النضال، تُراكم الشرعية السياسية وتُكسبها حضوراً إعلامياً وإنسانياً عالمياً.

*** التطورات العسكرية لجبهة البوليساريو :**

شكّل البُعد العسكري في مشروع جبهة البوليساريو أحد الأعمدة الأساسية في كفاحها التحرري. فمنذ إعلان تأسيسها سنة ١٩٧٣، اعتبرت الجبهة أن الكفاح المسلح هو السبيل الوحيد لمواجهة الاحتلال الإسباني، ثم لاحقاً المغربي والموريتاني. ومع تطور الصراع، انتقلت الجبهة من حرب العصابات إلى تكتيكات أشمل، مكنتها من السيطرة على مساحات واسعة، قبل توقيع وقف إطلاق النار سنة ١٩٩١ (ليلى البديع، مصدر سابق، صفحة 39).

خلال هذه الرحلة الطويلة خاضت الجبهة معارك كبرى وراكمت خبرة عسكرية معتبرة، ما جعلها أحد أقوى التنظيمات المسلحة غير الحكومية في المنطقة المغاربية.

*** الاستعمار الإسباني (1973 - 1975) :**

انطلقت العمليات المسلحة ضد الوجود الإسباني مباشرة بعد إعلان الجبهة عن تأسيسها، وأول عملية كانت في ٢٠ أيار ١٩٧٣، على موقع عسكري إسباني في "الخنكة". وقد تبنّت الجبهة آنذاك أسلوب حرب العصابات والتخفي، مستفيدة من الطبيعة الجغرافية الصحراوية المفتوحة، ومن دعم قبلي محدود في البداية (بيان العملية الاولى، 1973).

اقتصرت العمليات على الكمائن الليلية، واستهداف القوافل العسكرية، ومهاجمة نقاط التفتيش النائية. وقد ساهم هذا في إنهاك القوات الإسبانية وخلق جو من التوتر السياسي في مدريد، بالتوازي مع الضغوط الدولية المطالبة بتصفية الاستعمار.

بحلول ١٩٧٥، كانت الجبهة قد نفذت عشرات العمليات وأصبحت تمثل تهديداً جدياً للاستقرار العسكري الإسباني، ما عجّل بقرار الانسحاب بعد التوقيع على اتفاقية مدريد الثلاثية بين إسبانيا، المغرب، وموريتانيا في حزيران ١٩٧٥ (اتفاقية مدريد الثلاثية، 14 نوفمبر، صفحة 41)

*** المغرب وموريتانيا (1975 - 1979) :**

بعد الانسحاب الإسباني، دخلت الجبهة في صراع مفتوح مع كل من المغرب، الذي سيطر على شمال الصحراء الغربية، وموريتانيا، التي سيطرت على جنوبها. وقد أبدت الجبهة موقفاً صارماً من الاتفاق، معتبرة أنه " تقسيم غير شرعي لأرض محتلة "، وواصلت عملياتها العسكرية بوتيرة تصاعدية.

أ- الحرب مع موريتانيا :

استهدفت الجبهة العاصمة الموريتانية نواكشوط عدة مرات، أبرزها سنة ١٩٧٦، عندما شنت وحدة خاصة هجوماً على مطار العاصمة، وأصابت القصر الرئاسي بالقذائف، ما أدى إلى زعزعة النظام السياسي الموريتاني، وخلق حالة من الذعر الشعبي.

بفعل هذه الضربات اضطرت موريتانيا إلى توقيع اتفاق سلام مع البوليساريو في أغسطس ١٩٧٩، انسحبت بموجبه من إقليم وادي الذهب، وهو ما اعتبر انتصاراً سياسياً وعسكرياً للجبهة (العربي زويتن، 2002، صفحة 60)..

*** بناء القوة والتحصينات المغربية (1980 - 1991) :**

أمام ضغط العمليات لجأت المملكة المغربية إلى بناء الجدار الرملي الدفاعي المعروف بـ " الحزام الأمني "، بطول تجاوز (٢٧٠٠ كم)، يفصل بين المناطق الخاضعة للمغرب وتلك التي تدار من البوليساريو. وتم تشييد الجدار على مراحل بين 1987 و ١٩٨٠، بدعم وتمويل أمريكي وفرنسي وسعودي.

ورغم فعالية هذا الجدار في الحد من عمليات التسلل إلا أن الجبهة واصلت الهجمات باستخدام تكتيكات جديدة، مثل:

- زرع الألغام.
- استخدام صواريخ الغراد.
- كمائن خلف الجدار.

لكن الضغط العسكري والسياسي الدولي أدى إلى توقيع اتفاق وقف إطلاق النار برعاية الأمم المتحدة مع وعد بإجراء استفتاء لتقرير المصير

(B. Modle, 1990, p. 164)

*** الصراع السياسي والدبلوماسي بين جبهة البوليساريو والمملكة المغربية :**

أ- موقف المملكة المغربية:

يرتكز الموقف المغربي على " البيعة التاريخية "، حيث تشير الرباط إلى وثائق ومراسلات تاريخية تربط بعض القبائل الصحراوية بالعرش العلوي، وتعتبر أن هذه الروابط تثبت انتماء الصحراء الغربية إلى المغرب قبل الاستعمار الإسباني.

وقد تُوج هذا الموقف بـ " المسيرة الخضراء " سنة ١٩٧٥، حيث دخل آلاف المواطنين المغاربة إلى الإقليم في مسيرة رمزية، عدّها المغرب تحريراً سلمياً، بينما اعتبرتها البوليساريو محاولة فرض واقع استعماري جديد (Anthony G, p. 46).

ب- موقف البوليساريو :

تصر جبهة البوليساريو على أن الصحراء الغربية كانت إقليماً غير متمتع بالحكم الذاتي، وأن تقرير المصير هو الحل الوحيد الشرعي. وقد دعمت محكمة العدل الدولية هذا الموقف في رأيها الاستشاري الصادر في أكتوبر ١٩٧٥، الذي لم يجد روابط سيادية قانونية بين المغرب والإقليم، رغم إقراره بوجود علاقات اجتماعية ودينية غير حاسمة (Op.Cit, p. 50).

ج- الحرب مع المغرب:

كان الصراع مع المغرب أكثر تعقيدًا، نظراً للتفوق العسكري المغربي، والدعم الأمريكي والفرنسي الرباط. ومع ذلك، اعتمدت الجبهة على استراتيجية " حرب الاستنزاف "، وشنّت عمليات خاطفة على خطوط الإمداد والثكنات، خاصة في مناطق السمارة، المحبس، والعيون (Yahia H. Zoubir, 1948, p. 33)

أبرز المعارك :

- معركة أمغالا الأولى (١٩٧٦): هزيمة مغربية مفاجئة، تمكنت فيها البوليساريو من أسر جنود مغاربة، ما سبب توتراً دبلوماسياً بين المغرب والجزائر.
- معركة حوزة (١٩٨٠): من أبرز المعارك التي أظهرت تطور قدرات الجبهة من حيث التسليح والتنسيق.

د- المفاوضات :

أ- خطة التسوية :

تم التوصل إلى اتفاق برعاية الأمم المتحدة ومنظمة الوحدة الإفريقية، نص على وقف إطلاق النار وتنظيم استفتاء لتقرير المصير، تُشرف عليه بعثة المين" ورسو (UN Mission for Referendum in Western Sahara) لكن الخلافات حول قوائم الناخبين، وخصوصاً مطالبة المغرب بإدراج مستوطنين حديثين، أدى إلى تجميد الخطة (العربي المساري، 1997، صفحة 21)

ب- خطة بيكر :

قدم جيمس بيكر خطة تشمل فترة انتقالية من الحكم الذاتي تحت السيادة المغربية، تتبعها عملية استفتاء. وافقت البوليساريو، لكن المغرب رفض المقترح، معتبراً أن طرح الاستفتاء يهدد " وحدته الترابية ". (وثائق وزارة الاوقاف المغربية حول البيعة، 1975).

ج- الأمم المتحدة :

رغم صدور العديد من قرارات مجلس الأمن، بقيت هذه القرارات غير ملزمة وذات لغة توافقية، مما سمح للطرفين بتفسيرها حسب مصالحهما. ورفض المغرب منح بعثة " المين ورسو " صلاحيات لمراقبة حقوق الإنسان، وهو مطلب دائم للبوليساريو.

د- الاتحاد الإفريقي :

اعترف الاتحاد بالجمهورية الصحراوية، مما أدى إلى انسحاب المغرب من المنظمة. عاد المغرب إلى الاتحاد الإفريقي، معلناً " استعداده للتعايش " مع البوليساريو، في خطوة وُصفت بـ " الدبلوماسية المزدوجة " (ليلى البديع، مصدر سابق، صفحة 50).

الدعم الدولي والإقليمي لجبهة البوليساريو :

منذ بداية الصراع في الصحراء الغربية، كانت جبهة البوليساريو الطرف الأضعف من حيث الإمكانيات العسكرية والاقتصادية مقارنة بالمملكة المغربية، التي ورثت مؤسسات دولة مستقرة، وتحالفات سياسية مع قوى دولية وازنة، مثل فرنسا والولايات المتحدة. هذا الاختلال في ميزان القوى جعل الجبهة تعتمد بدرجة كبيرة على الدعم الخارجي بمختلف أشكاله، كأداة للتوازن والصمود، لا سيما في ظل غياب مصادر ذاتية للتمويل أو الإمداد.

لقد ساهم هذا الدعم في استمرارية الجبهة سياسياً وعسكريًا، بل وكان حاسما في بقاء القضية الصحراوية على جدول أعمال الأمم المتحدة . والمنظمات الإقليمية. ويمكن تلخيص محددات هذا الدعم في ثلاثة أبعاد رئيسية : (ليلى البديع، مصدر سابق، الصفحات 61-68) .

- أولاً، التحالفات الإيديولوجية، خصوصا في فترة الحرب الباردة، حيث انحازت معظم الدول اليسارية أو " الثورية " إلى دعم حركات التحرر، ومن بينها البوليساريو، انطلاقاً من رؤيتها المناهضة للاستعمار.
- ثانياً، المصالح الجيوسياسية، خاصة ما يتعلق بالصراع الجزائري المغربي على الزعامة الإقليمية، والذي ألقى بظلاله الثقيلة على الموقف من النزاع في الصحراء الغربية.
- ثالثاً، الشرعية القانونية التي تمنحها قرارات الأمم المتحدة للقضية، باعتبارها قضية تصفية استعمار، وهو ما يبرر أخلاقياً وسياسياً دعم البوليساريو كممثل للشعب الصحراوي، وفق قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٥١٤ (الامم المتحدة، 1960).

- الدعم الجزائري:

يُعد الدعم الجزائري أهم وأطول أشكال الدعم الذي تلقته جبهة البوليساريو منذ تأسيسها. ولا يقتصر هذا الدعم على البعد الإنساني أو العسكري، بل يعبر عن خيار استراتيجي طويل الأمد في السياسة الخارجية الجزائرية.

أوضح الرئيس الجزائري الراحل هواري بومدين الموقف مبكراً عندما صرّح أن " قضية الصحراء الغربية هي امتداد طبيعي للثورة الجزائرية ضد الاستعمار هذا التصريح يُفهم في إطار الرؤية الجزائرية التي ترى في دعم البوليساريو استمرارية لدورها الثوري في إفريقيا، ودعماً لحق الشعوب في تقرير مصيره (الامم المتحدة، خطة التسوية المشتركة، 1991، صفحة 13).

ومن أبرز مظاهر الدعم :

- اللجوء السياسي والإنساني : منذ منتصف السبعينات، وفرت الجزائر أراضي في منطقة تندوف لإقامة مخيمات اللاجئين الصحراويين، والتي تُدار كليا من قبل جبهة البوليساريو. وتُعد هذه المخيمات النواة التي تبني فيها الجبهة مؤسساتها السياسية والاجتماعية، ما يجعل الجزائر شريكاً أساسياً في " استمرارية الدولة في المنفى ".
- الدعم الدبلوماسي : الجزائر دافعت دائماً عن موقف البوليساريو في الأمم المتحدة والاتحاد الإفريقي، وغالباً ما يُدرج ممثلو الجبهة ضمن الوفد الجزائري الرسمي، كما حدث في مفاوضات مانهاست.
- الدعم العسكري: رغم غياب تأكيد رسمي، تؤكد تقارير استخباراتية وأممية أن الجزائر وفرت للجبهة أسلحة فردية راجمات صواريخ آليات خفيفة، بل وحتى صواريخ موجهة في بعض الفترات خصوصا خلال فترة السبعينات والثمانينات، أثناء الحرب المفتوحة ضد المغرب، وقد يتجاوز الدعم الجزائري للبوليساريو البعد الإنساني أو الأخلاقي، ليعبر عن استراتيجية إقليمية متكاملة تسعى الجزائر من خلالها (ليلى البديع، مصدر سابق، صفحة 61 ، 68).

1- احتواء التمدد المغربي جنوبًا، خاصة باتجاه موريتانيا ومنطقة الساحل، حيث تعتبر الجزائر أن أي توسع مغربي يهدد أمنها القومي.

2- تعزيز دورها القاري كداعم لحركات التحرر، مما يعزز الشرعية الثورية للنظام السياسي الجزائري أمام الرأي العام المحلي والدولي، خاصة بعد تراجع المد الاشتراكي في التسعينات.

3- إبقاء المغرب في وضعية نزاع مزمن يمنعه من التفرغ لتوسيع نفوذه الاقتصادي والدبلوماسي، أو تقوية حضوره في إفريقيا جنوب الصحراء، ما يشكل عامل توازن قاري مهم بالنسبة للجزائر (الاتحاد الافريقي، 2017)..

أ- ليبيا :

خلال مدة حكم العقيد معمر القذافي، تبنت ليبيا موقفاً واضحاً في دعم حركات التحرر في العالم، وكان دعمها لجبهة البوليساريو جزءاً من رؤية ثورية مناهضة للاستعمار القذافي اعتبر أن الصحراء الغربية تمثل قضية " تحرر عربية إفريقية "، وانطلاقا من هذا الخطاب، قدم دعماً متنوعاً للجبهة، يمكن تلخيصه فيما يلي:

- إرسال شحنات أسلحة : عبر التنسيق مع الجزائر، زوّدت ليبيا الجبهة بأسلحة خفيفة وصواريخ وذخائر، خصوصاً خلال فترة السبعينات والثمانينات.

- دعم إعلامي مباشر : خُصصت برامج في الإعلام الليبي لدعم القضية الصحراوية، كما أُنشئت إذاعات موجهة نحو شمال إفريقيا.
- تنظيم معسكرات تدريب : استقبلت الصحراء الليبية معسكرات لتدريب مقاتلي الجبهة، ما شكّل عنصراً مهماً في بناء القوة القتالية للبوليساريو.
- تمويل بعثات خارجية : دعمت ليبيا نشاط البعثات الدبلوماسية للبوليساريو، خصوصا في إفريقيا وأمريكا اللاتينية (محكمة العدل الدولية، 16 تشرين الاول 1975، صفحة 101).

ب- كوبا :

برزت كوبا بوصفها أحد الحلفاء الثابتين لحركات التحرر، وارتبطت بعلاقة خاصة مع جبهة البوليساريو. كان دعمها إنسانياً وتكوينياً في الأساس، حيث:

- وفرت تعليماً مجانياً لأكثر من (٣٠٠٠) طالب صحراوي في الجامعات الكوبية.
- خرجت مئات الأطباء والممرضين والفنيين الذين عادوا للعمل في مخيمات تندوف.
- ساهمت في تنظيم حملات تضامن دولية مع القضية، خصوصا في دول أمريكا اللاتينية.

كما حافظت كوبا على دعم الجبهة داخل الأمم المتحدة، حيث كثيراً ما دعمت حق الشعب الصحراوي في تقرير المصير (جيمس بيكر، 2003، صفحة 105).

ج- فيتنام :

مثلت فيتنام، رمز المقاومة في آسيا، سنداً معنوياً للبوليساريو شاركت الجبهة في مؤتمرات الحزب الشيوعي الفيتنامي، ونظر إليها كـ " حركة تحرر شقيقة ". هذا التضامن كان رمزياً أكثر منه مادياً، لكنه دعم الشرعية الثورية للجبهة في المحافل اليسارية العالمية (المصدر نفسه، صفحة 107).

- **الدعم الإفريقي :**

خلال الثمانينيات، كانت إفريقيا السند الأكبر للبوليساريو، حيث اعترفت أكثر من (٤٠) دولة إفريقية بالجمهورية الصحراوية. ونتيجة لهذا الاعتراف، انضمت الجبهة إلى منظمة الوحدة الإفريقية سنة ١٩٨٤، مما أدى إلى انسحاب المغرب من المنظمة.

هذا الاعتراف شكل أقوى مكسب دبلوماسي للجبهة، حيث أتاح لها شغل مقعد داخل المنظمة، وطرح القضية الصحراوية كملف إفريقي بامتياز. ومع بداية التسعينيات، غير المغرب استراتيجيته من المقاطعة إلى الدبلوماسية الناعمة، خصوصاً في إفريقيا جنوب الصحراء، عبر:

- مشاريع اقتصادية وزراعية.
- مساعدات تنموية مباشرة.
- تعاون ديني وثقافي مع الزوايا الصوفية.

ونجح المغرب في إقناع عدة دول بسحب اعترافها بالجمهورية الصحراوية، مثل السنغال، الكاميرون، الغابون، وغينيا الاستوائية، مما أحدث شرخاً تدريجياً في جدار التضامن الإفريقي التقليدي مع البوليساريو.

ومع ذلك، لا تزال دول محورية مثل الجزائر وجنوب إفريقيا تواصل دعم الجبهة، ما يُبقي ملف الصحراء حيّاً على مستوى القارة (الاتحاد الافريقي، بيان عودة المغرب، 2017).

الخاتمة :

تُجسّد جبهة البوليساريو باحدة من أبرز حركات التحرر في العالم العربي والقارة الإفريقية، حيث استطاعت على مدار أكثر من خمسة عقود، أن تفرض حضورها السياسي والعسكري والدبلوماسي في مواجهة واحدة من أعقد القضايا الإقليمية المعاصرة. ورغم الفوارق الهائلة في الموارد والدعم بين الجبهة والمملكة المغربية، فإن البوليساريو حافظت على موقعها كفاعل أساسي في الصراع حول الصحراء الغربية، مستندة إلى شرعية تاريخية وقانونية، وإرادة سياسية متماسكة.

وقد أظهر استعراض التطور التاريخي للجبهة، منذ تأسيسها في عام ١٩٧٣، أنها لم تكن مجرد ردة فعل عفوية على الاستعمار الإسباني، بل جاءت نتيجة وعي جماعي تشكل في ظل الاستعمار، وتطوّر في سياق إقليمي تميّز بصعود حركات التحرر الوطني. هذا الوعي تُرجم إلى برنامج سياسي ومشروع وطني، حملته الجبهة من خلال العمل المسلح، وبناء مؤسسات تمثيلية ومدنية، وإطلاق شبكة دبلوماسية واسعة كان لها دور كبير في تدويل القضية الصحراوية.

وبالرغم من التحديات التي واجهتها الجبهة، سواء على المستوى الداخلي – كطول أمد اللجوء، وبطء التحديث القيادي - أو الخارجي - مثل تقلّص الاعترافات الدولية، وعودة المغرب القوية إلى إفريقيا، وتحالفاته مع قوى دولية فاعلة - فإن البوليساريو ما تزال تتمتع بقدرة عالية على الصمود والمناورة وقد حافظت على تمثيليتها كطرف تفاوضي معترف به أممياً، ونجحت في الحفاظ على عضويتها في الاتحاد الإفريقي، وأقامت نمطاً إدارياً خاصا داخل المخيمات، عزز من مكانتها ككيان سياسي له شرعية قائمة.

إلا أن مستقبل الجبهة يظل مرهوناً بعدة عوامل متداخلة، من أبرزها : قدرتها على تجديد هياكلها الداخلية، والانفتاح على الطاقات الشابة، ومواكبة التحولات الإعلامية والدبلوماسية الحديثة. كما تحتاج إلى تعزيز مكانتها القانونية من خلال التركيز على خطاب حقوق الإنسان، واستثمار قرارات المحاكم الدولية التي تصب في صالحها.

وفي ظل استمرار الجمود في مسار التسوية الأممية، والتغيرات المتسارعة في البيئة الدولية (أمن الطاقة، مكافحة الإرهاب، الهجرة ...)، تبقى الحاجة ملحة إلى مقاربات جديدة تعيد طرح الملف في سياق أكثر توازناً وتُمهد لعودة العملية السياسية وفق رؤية واقعية تحقق العدالة، وتضمن حق الشعب الصحراوي في تقرير مصيره بحرية وفق ما تنص عليه القوانين الدولية ومواثيق الأمم المتحدة.

المصادر

Anthony G. (n.d.). Anthony G. Pazzanita. Morocco: Versuspolisario , Pohitical inter- Pretaion.

B. Modle. (1990). The Wall in Western Sahara.

Op.Cit. (n.d.).

Yahia H. Zoubir. (1948). Thewester Sahara Conphict, Regionqh and international.

اتفاقية مدريد الثلاثية. (14 نوفمبر). مدريد: وزارة الخارجية الاسبانية.

الاتحاد الافريقي. (2017). بيان عودة المغرب. أديس ابابا.

الاتحاد الافريقي. (2017). بيان عودة المغرب الى عضوية الاتحاد الافريقي. أديس أبابا.

الامم المتحدة. (14 ديسمبر 1960). قرار الجمعية العامة رقم 1514. نيويورك.

الامم المتحدة. (1960). القرار 1514 بشأن منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة. نيويوك: الجمعية العامة.

الامم المتحدة. (1991). تقرير الأمين العام جول الوضع في الصحراء الغربية، مجلس الامن.

الامم المتحدة. (1991). خطة التسوية المشتركة.

الامم المتحدة. (بلا تاريخ). بيانات جبهة البوليساريو في جلسات الامم المتحدة 1911-2021.

الامم المتحدة، قرارا الجمعية العامة رقم 1514. (14 ديسمبر 1960). نيويور .

العربي المساري. (1997). المغرب والصحراء: جذور النزاع وتطوراته . الدار البيضاء: دار الثقافة.

العربي زويتن. (2002). الصراع في الصحراء الغربية: البعد العسكري والاستراتيجي . الرباط: مركز الدراسات المغاربية.

بابكر احمد محمد أدومة. (2020). نشأة وتطور الازمة في الصحراء الغربية، مجلة الدراسات العليا . المجلد 15، العدد 3.

بيان العملية الاولى. (1973). جبهة البوليساريو، أرشف الجبهة.

جيمس بيكر. (2003). خطة السلام في الصحراء الغربية. وثائق الامم المتحدة.

سيويرا فرانسيسكو. (1989). الصحراء الغربية من الاستعمار الى النزاع. مدريد: المعهد الاسباني للدراسات الافريقية.

عبدالكريم غلاب. (1981). الاستعمار الاسباني في الصحراء الغربية. الرباط: منشورات كلية الحقوق.

عتيقة بلقاسم. (2017). التمثيلية السياسية في جبهة البوليساريو . الجزائر: مجلة العلوم السياسية، العدد 21.

ليلى البديع. (مصدر سابق). جبهة البوليساريو.

محكمة العدل الدولية. (16 تشرين الاول 1975). الرأي الأستشاري بشأن الصحراء الغربية لاهاي.

وثائق وزارة الاوقاف المغربية حول البيعة. (1975). الرباط.

ولد باه محمد عبدالله. (2012). النزاع في الصحراء الغربية ، جدلية التحرر والوحدة. بيروت: المركز العربي.

ولد خطري محمد الامين. (2004). المقاومة الصحراوية: من بصيري الى البوليساريو. الجزائر: منشورات القصبة.

First: Documents

1- United Nations, Report of the Secretary-General on Western Sahara, General Assembly, 1975-1980.

2- United Nations, Report of the Secretary-General on the situation in Western Sahara, Security Council, 1991.
3- United Nations, General Assembly Resolution 1514, New York, December 14, 1960.
4- United Nations: Resolution 1514, on the Granting of Independence to Colonial Countries and Peoples, General Assembly.
5- United Nations, General Assembly Resolutions, Section 73, 1975-2022.
6- International Court of Justice, Advisory Opinion on Western Sahara, The Hague, 1975.
7- United Nations, Case 16/2014 on Trade Partnership Agreements, Brussels, 2016.
8- Documents of the Moroccan Ministry of Endowments on the Pledge of Allegiance, Rabat, 1975.

Arab Sources:

1. African Union, Declaration of Morocco's Return, Idriss Ababa, 2017.
2. Al-Arabi Zouitine, The Conflict in Western Sahara: The Military and Strategic Dimension, Rabat, Center for Maghrebi Studies, 2002.
3. Al-Arabi Al-Masari, Morocco and the Sahara ((The Roots of the Conflict and Its Developments)), Casablanca, Dar Al-Thaqafa, 1997.
4. Abdelkrim Ghallab, Spanish Colonialism in Western Sahara, Publications of the Faculty of Law, Rabat, 1981.
5. Laila Badi, The Polisario, Leader And Revolution, Dar Al-Masirah, Beirut, 1978.
6. Mohamed Abdullah Ould Bah, The Conflict in Western Sahara: The Dialectic of Liberation and Unity, Center for Moroccan Studies, Beirut, 2012.
7. Mohamed El Amine Ould Khatri, The Sahrawi Resistance from Basiri to the Polisario, Al-Qadiya Publications, Algeria, 2004.

Translated Sources:

1. James Baker, The Peace Plan in Western Sahara, 2003.
2. Francisco Sequeira, Western Sahara from Colonialism to Conflict, Spanish Institute of African Studies, Madrid, 1989.

Published Research:

1. Atiqa Belkacem, "Political Representation in the Polisario Region," Journal of Political Science, Issue 21, Algeria, 2017.